

الفصل الثاني

حول الدراسة

ضرورة المنهج اللغوي

في

التفسير والتأويل

obeikandi.com

ضرورة المنهج اللغوى فى التفسير والتاويل

نادى الإمام أحمد بضرورة الاهتمام بالمنهج اللغوى فى تفسير القرآن، وتاويل ونفى إمكانية فهمه بعيداً عن اللغة، إذ إن العربية هى لغة القرآن، والعربية لغة القوم الذين نزل عليهم القرآن، والقرآن إعجازه فى الأساس إعجاز لغوى ..

والرسالة التى نحققها عبارة عن بيان تطبيقى للمنهج اللغوى، فى توجيه النص وتفسيره على الوجه الصحيح، دون تحريف أو تزيف ..

وقد طلب بعض الإباضية من الخوارج - وهم أكثر الخوارج اعتدالاً - من أحد أتباع الإمام، أن يفسر لهم بعض آيات القرآن، مستعيناً باللغة فحسب .. فلبى الإمام طلبهم فى هذه الرسالة ..

فتناول الإمام قضية بيان أن هناك تضاد لغوى .. أو جواز اختلاف المعنى واللفظ واحدة، ومن ذلك أن كلمه «وراء» تاتى فى اللغة بمعنى «قدام» .

أو أن النص من حيث التركيب والتصوير التمثيلى، يذكر الصنم بلفظ إله على سبيل السخرية والتهكم.

وإن التركيب اللغوى يجيز أن تحمل صيغة المفعول مكان صيغة الفاعل .. «كمراضية» حين تحمل محل «راضية» .

كما يتعرض الإمام فى رسالته إلى نفى بعض المفاهيم الجبرية، التى يحاول الاتجاه الجبرى أن يبشها ويثبتها .. كالقول بأن الله يخلق الجور فى عباده، أو يصرف بعض عباده عن الإيمان، وهو كلام خطير وينافى الحكمة والعدل، وحاول المجهرة الاستعانة بالنص أو اجتزاء الآيات، أو بعضها من سياقها لإثبات ذلك، وكان شغلهم الشاغل هو إثبات أن الله هو خالق الكفر والفجور، على أصحابه وليس اختياراً وفعلاً لهم .

كذلك تعرض الإمام إلى ظاهرة الالتفات والتنويع فى الكلام، عن طريق توجيه الضمائر وهى من سمات اللغة العربية، وتدخل فى إطار البلاغة فى التركيب ..

أما تعدد المعانى للفظ الواحد .. ومجيئه فى القرآن بإحدى هذه المعانى، دون غيرها فقد أرشد إليه الإمام، ومن ذلك كلمة «فارغاً» ..

أما ظاهرة التقديم والتأخير فقد توقفت عندها ، وتحدث عن شواهد كثيرة فى الشعر العربى والقرآن الكريم ، تدل عليها وتجزئها ..

وكذلك إيضاح بعض دلالات الألفاظ ، كبيان أن «يئس» تأتي بمعنى «أيقن» .. أو «ظن» تأتي بمعنى «أيقن» .. أو أن الصلاة بمعنى الدعاء .. أو أن «الحس» بمعنى الضرب والقتل . كما بين أن اللغة والمنهج اللغوى يستقيم مع العدل ، وذلك من خلال بيانه أن الاستطاعة قبل الفعل فى تفسير آية البقرة الشهيرة ، والمعروفة بآية الدين .

يأتى فى سياق نظرية العدل عند الزيدية ، أن يكون تأويل قوله ، تعالى ، لإبليس «استفزز» ليس على سبيل الأمر بالحث والحض والتفويض ، وإنما على سبيل الوعيد والتهديد ..

كما توقفت الإمام عند ظاهرة دلالة الفعل ، يكون على الماضى والحاضر والمستقبل ، عندما يكون المتكلم هو الله ، وكذلك دلالة الحرف «إذ» على المستقبل والمعهود والمعروف دلالاته على الماضى .

كما أوضح الإمام ظاهرة الإضمار اللغوى بالحذف والاختصار فى القرآن الكريم .. وكونها من وجوه البلاغة فيه ..

وبين الإمام أهمية فهم هذه الآية دون سابق معرفة باللغة ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾^(١) فالمنجبرة تعتقد أن الله يريد الضلال من عباده ، ويقصده بعد بيانه لهم سبل الهدى .. والصواب هو أن يقول يبين الله لكم أن لا تقتلوا .. إذ هناك محذوف تقديره لا .. وحذف لا من السياق من المعروف فى لغة العرب .. وكذلك إثباتها مع كونها مهملة ولا يستطيع ذلك من جهل لغة العرب وكلامهم وأدبهم .

وأوضح الإمام معانى الفتنة فى القرآن الكريم ، فبين أنها تأتي على عشرة أوجه .. وكذلك معانى النظر فى القرآن والكبائر فى كتاب الله ، فأحصى أربعة عشر كبيرة .. وكذلك معانى الجهاد ..

ويأتى فى إطار نظرية العدل ما ذكره الإمام فى الفائدة من خلق الله للحيوانات الضارة لبنى آدم .. وكذلك بيان العلة من وراء كون الكفار لا يفقهون بقلوبهم

(١) سورة النساء : الآية ١٧٦ .

ولا يسمعون بأذانهم ولا يرون بأعينهم ، مع أنها أدوات الإدراك والحس ، وأبواب الاستقبال عند الانسان لتلقى التكليف .. ومن ذلك بيانه أن الله لم يخلق أفعال العباد .. وبيان معنى الصرف والختم والتزيين والإضلال والإغواء . وهل يجبر الله عباده على بعض الأفعال .. وهل ينصر أعداءه على أوليائه؟ .. كما تعرض لنقد المشبهة فى الصفات الخبرية ، من خلال بيان جقيقة اليد والوجه والنظر فى القرآن الكريم ، وكذلك العرش والكرسى ، والفرح والمكر والمتعلقين بصفات المعانى ..

كما تصدى للمفهوم الجبرى فى أن الله يملئ على عباده ما يريد منهم ، ثم يعذبهم على ما فعله بهم ، لا ما فعلوه هم بأنفسهم .. وبين أن الله عدل لا يجور .. وأن نظرية الجبر تهدم أساس التكليف ، وتنقض التوحيد والعدل .

وامتازت الرسالة بالوضوح والثناء .. وهى بذاتها تمثل التفسير اللغوى لكثير من آيات القرآن الكريم ، التى تحسم الجدل القائم حول مفهوم المتشابه من الآيات .. وتبين أن لهذا المتشابه تفسيراً وتأويلاً ، يعرفه من يلم بأركان وأسس المنهج ، ويطلع على أجزائه .

ولذلك نرجو من الله أن نكون قد وفقنا عندما قدمنا لهذه الرسالة بالحديث عن الخوارج ، ثم بيان كون المنهج اللغوى ضرورة من ضرورات المنهج الإسلامى فى الفهم والتأويل .
